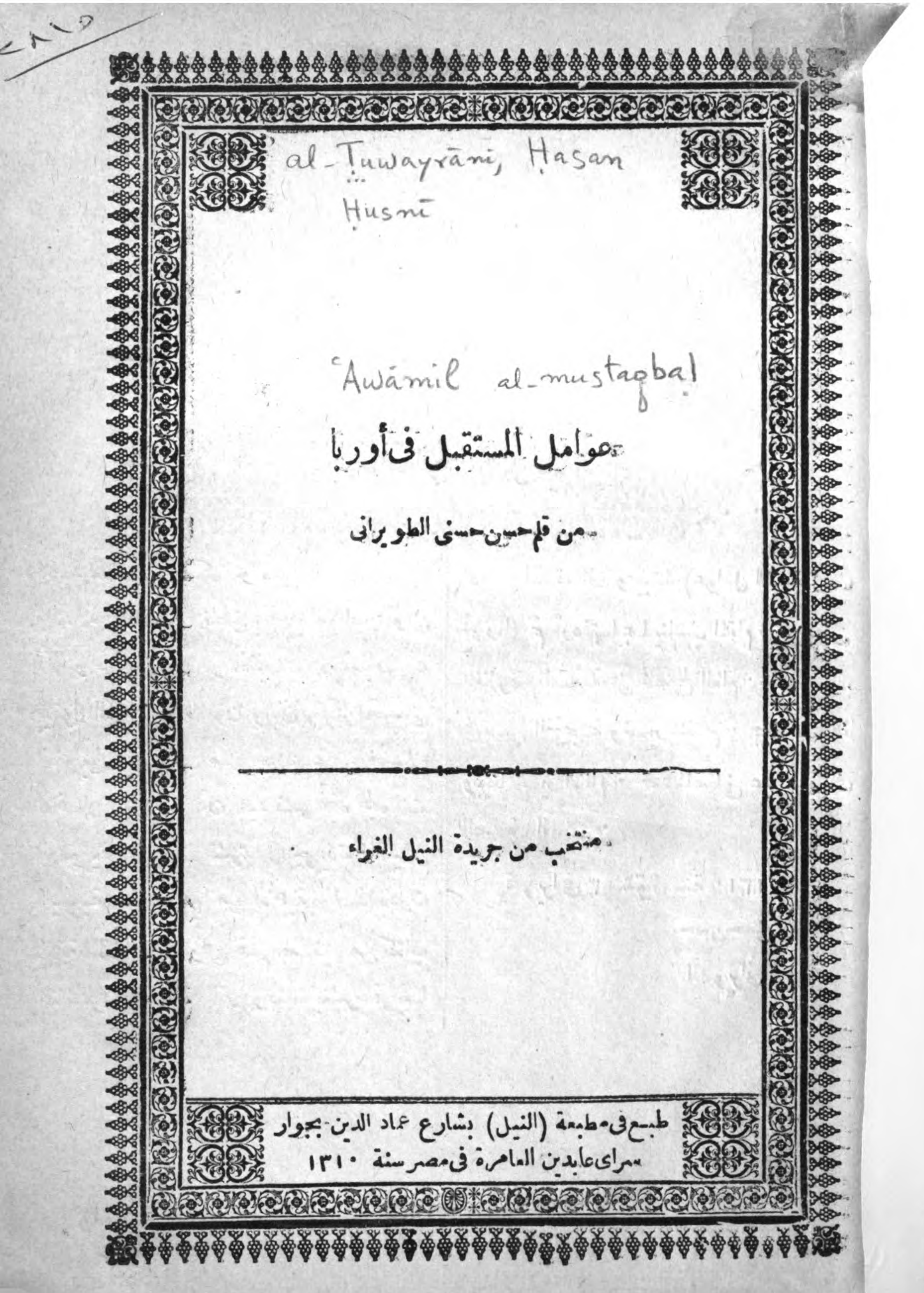
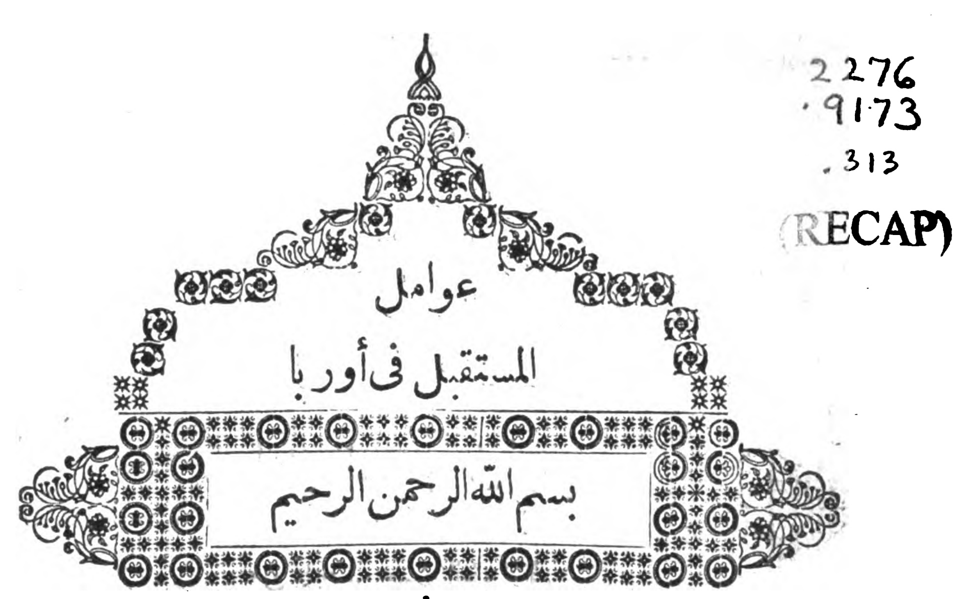

al-Ṭuwayrānī, Ḥasan Ḥusnī
ʿAwāmil al-mustaqbal
عوامل المستقبل فى أوربا
من قلم حسين حسنى الطويرانى
منتخب من جريدة النيل الغراء
طبع فى مطبعة (النيل) بشارع عماد الدين بجوار
سراى عابدين العامرة فى مصر سنة ١٣١٠



الحمد لله ملهم الحكمة والصواب • والصلاة والسلام على أشرف ناطق بأفصح خطاب • وعلى آله وأصحابه الاطهار الانجاب *(أما بعد)* فيقول الفقير الى العون الربانى حسن حسنى الطويرانى قد طلب منى جماعة من فضلاء الاقطار الاسلامية أن أعيد نشر هذه المجلات العمومية التى كنت نشرتها فى جريدتنا النيل اليومية لما رأوا فيها من الاهمية ولهذا بادرت باجابة ذلك الطلب وهى قسم صغير من كتاب النظرات الحسنية الذى وعدنا بنشره قريبا ان شاء الله تعالى وسميتها (عوامل المستقبل فى أوربا) ثم أردفتها بما يناسب المقام • من بعض النظرات العائدة على الصالح العام • والله المسؤل فى حسن النتيجة وخير الختام • بجاه سيدنا ونبينا خير الانام • محمد المصطفى عليه أزكى الصلاة والسلام •

تحريرا فى ٢٣ شوال سنة ١٣١٠

حسن حسنى
الطويرانى

عوامل مستقبل أوربا

نظرة ١٣٦ في يوم الاحد ١٤ جماد الاول سنة ١٣١٠ عدد ٢٧٣

تمهيد

تحار العقول وتعي الافكار وتتضارب الاوهام والظنون في ماعسى أن يكون أولا يكون من جهة مستقبل أوربا ومقبل أحوالها (قلت)

بين صدق النهى وكذب الاماني

سهرت أعين ونامت عيون

فالى م العنا وحتى م نشقى

في أمور تكون أولا تكون

يهم الشرق عموما والدول المرتبطة مع أوربا بحسب المناسبات خصوصا البحث عن نتايج أعمال الدول الاورباوية وما تؤثره تلك الاعمال في استقبال كل منها أومجموعها

وليست الاهمية أهمية معنوية فقط بل هي مادية الاثر والتأثير لما يتعلق بها من الاحوال العمومية في القارات الاربعة آسيا وافريقا وأميريكا وأوستراليا لما لكل قطعة في كل قارة من الارتباط أوالمناسبة بينها و بين احدى تلك الدول على اختلاف درجاتها

فالتأثير الذي يحصل في أوربا اليوم لاتنحصر نتائجه فيها بل تجرى على قدر الى ما يناسبها من أحوال المجتمعات والامم

لهذا يجب الاهتمام بالكلام عليها لا سيما وقد وافت سنة ١٨٩٢ شهر الختام وأقبلت سنة ١٨٩٣ جعلها الله عام خير وسلام

بناء على ذلك نرجو حضرات قرائنا الكرام أن يتنزلوا لقبول بعض جملنا المسلسلة تحت هذا العنوان لتشخيص منظرة العالم السياسي الطبيعية لتحصيل فكر اجمالي ملائم لهذا المقام فنقول

يتردد أرباب الاقلام وأصحاب الاحلام منذ الاعوام بين ترجيح وقوع الحرب ودوام السلام بين دول قارة أوربا ولا حجة على صحة دعوى الطرفين لتساوي الادلة المتعارضة في قوة المناقضة ومشابهة أوجه الاحتمالات في الوجهة والجهة

اذ كما يحتمل أن تضطر أوربا الى اقتحام عقبة الحروب كذلك لايمتنع أن يحفظ ساستها أسباب دوام السلام

وليس البحث عن تحديد الامكانين أوالحكم الحتمي سلبا وايجابا لاحدهما على الآخر من موضوع كلامنا اليوم فانما هو من أعمال غد ولكل يوم عمل

ولكن ينحصر كلامنا في تشخيص العوامل الطبيعية التي تؤثر بآثارها الحالية على جانب الاستقبال وهي العوامل التي لا تحتمل الظنون والاوهام ولاتقبل معارضتي النقض والابرام فهي طبيعية مجرى الاحكام

وليس كذلك من غرضنا التكلم على ماعسى أن تتخذه كل دولة من الاعمال الجندية

[redacted]

والسوقيات وأنواعها والآلات والادوات والزخائر وموازنة القوى ومواقعها واستحكاماتها ونقاطها وخطوط سيرها فى البر والبحر وما يتعلق بذلك فان كل هذه الامور لها وجهتان ظاهرة لاتدل على غير وقتها الحاضر وباطنة وهى مالا يعلمها مطلقا الا رجال الاختصاص فى كل دولة وهنالك الامر الاهم الاعظم وهو اغتنام الفرص التى تقتضيها ظروف الازمنة والامكنة والاحوال المخصوصة الموقتة بسر القدر

فالكلام عليها ظنى المأخذ اجمالى المفاد وبحثنا متعلق بطبيعيات الامور

وليس من قصدنا الاساسى الخوض فى أعمال الدول السياسية وما يستخدمه السياسيون من الوسائل فى نجاح الاعمال من التمايلات والتباعدات وتقوية العلائق وتضعيفها وتبديل صور التعاملات الخصوصية والعمومية فتلك أيضا من مخزونات الافكار العاملة التى تتصرف بفرص الاوقات على مقتضى قابلية الزمان والمصلحة

ولو كانت الاعمال الاساسية السياسية أو العسكرية ممكنة العلم أو محتملة الحدس والتخمين على وجه الحقيقة لما عدت مناورة حربية أو منهجا بولتيقيا بل ان هذه الاسرار العالية لايسمع بها الخاصة لخواصهم الارمزا أو من وراء حجاب فقد تسقط السياسة الخاصة بسقوط وزارة كما تسقط المناورة الحربية بانتقال القيادة العمومية أو الخصوصية من قائد لمثله فلا يقوى الخلف منهم على معرفة سر أعمال السلف الابعد طول الاختبار والتجربة وقد لايتحقق توارث السياسة المصونة الا بين الاخلاف والاسلاف الذين طالت معاشرتهم ودامت وحدة الحال الخاصة بينهم من رجال الدول

وحسبنا ماتقرره الحكومات من الجزاء الشديد الذى يبلغ درجة الاعدام على من يثبت عليه نقل سر من أسرار حكومته سواء كان سرا عسكريا أو ملكيا ولاينسى فضلاء السياسيين كم شنت الغارة الشعواء فى المانيا عند ماقيل بنشر أوراق الامبراطور فردريك والبرنس بسمارك واحتج على ذلك بانها من الاوراق الاساسية المهمة التى لاينبغى نشرها على الهيئة العمومية

وليس بالقليل ماترويه الصحف من أخبار الجواسيس العسكرية والسياسية وتجولهم خلال مجتمعات الدول ومايقع عليهم من الجزاء الصارم والعقاب العظيم

أليس كل ذلك كاف فى البرهان على احترام الاسرار الحربية والسياسية فى كل دولة من الدول على اختلاف طبقاتها ومبادئها من الحرية والمشروطية والاطلاق

نعم لاننكر ان أرباب القلم والتحرير قد يكونون

لهم نصيب مهم من الاحاطة ولكنهم لا يقفون على ذلك بصفة محرر أو صاحب جريدة بل بصفة أخرى هي أسمى من ذلك وأعلى وهي الصفة الخصوصية الذاتية التي يثق بها المقام العالي الحكومي وأعضاؤه فيسمح له به فهو والحالة هذه عضو عالم لا عامل وبالطبع إنه لا يتصرف بمعلوماته الا بمقدار ما يناسب سياسة دولته و يلائم أحوال مجتمعه اما لباب السياسة فلا يشير اليه الا عند الاقتضاء كما يفهم من صدق حدسيات الصحف المهمة في بعض الاحوال

فلهذا وما قدمنا من المضامين نحن نجتنب تلك الحدسيات والظنون ونوجز كلامنا على العوامل الطبيعية بالتوالي فنبتدئ الكلام على الاتحاد الثلاثي دول ايتاليا والنمسا والمانيا ثم على الاتحاد الثنائي فرانسا وروسيا ثم على الحيادتين حيادة الدولة العلية ودولة انكلترا

ثم نرد ذلك بالكلام على الدول الثانوية فيما بعدها حتى نتمم تشخيص الاعضاء العاملة في جسم القارة الاوروباوية وبعد ذلك نختم المقال باجمال فكري عمومي بعد التمهيد التفصيلي وبناء على هذه المبادى نلتمس المساعدة من حضرات قرائنا الكرام في مباشرة التفصيل اعتبارا من غد والله الملهم للصواب مفيض أنوار الحكمة وواهب فصل الخطاب

نظرة ١٣٧ في يوم الاثنين ١٥ جمادي الاولى سنة ١٣١٠ عدد ٢٧٤

ايتاليا

أشرنا في تمهيدنا السابق الى أننا سنقدم الكلام على دول الاتحاد الثلاثي ونبتدئ منها بدولة ايتاليا ونحن اليوم مجملون ذلك فنقول

أن موقع ايتاليا محوط البرهما يلي النمسا والمانيا وفرنسا ولكن مواقعها البحرية طويلة الخطوط كثيرة السواحل فهي كما تحتاج الى تأمين حدودها على تخوم فرنسا تفتقر الى قوة بحرية عظيمة جدا كافية لحماية سواحلها المتعددة

وهي وان بلغت مبلغها الحالي من القوة البحرية الا أنها ليست في الصف الاول من دول البحار كما ان حليفتيها كذلك ليستا من الدول البحرية العظمى التي يمكن لمجموعها أن يقابل القوة الفرنساوية والروسية البحريتين الا اذا أضيف اليها حماية الاسطول الانكليزي على فرض احتمال حصول تلك الحماية

وهذه القوى وان كانت مقدورا عليها بالنسبة لايتاليا الا أن ازديادها الى القدر الكافي ومواظبتها على الدوام عليه يتعلق بمساعدة القوة المالية التي هي الروح الفعال في بلاد أوروبا

والقوة المالية أيضا قد يمكن أن تستفاد من المنابع الطبيعية ولكن تلك المساعدة لاتتأتى الا بموافقة الشعب ونوابه والضرورة المجبرة التى يراها ملزمة له بالعمل وبالطبع أنها لاتستمر الى مالانهاية بل لابد من مواد أخرى تتوقف على استعمال النفوذ أو الثقة بتوسيع التجارة وامكان الاقتراض ولا يخفى مايحول بين السوقيات التجارية وبين الغاية منها من التزاحم الدولى وحينئذ يفهم أن سياسة توسيع نطاق التجارات ستقتضى الازدحام عند النقاط النهائية فيحدد بعضها بعضا بحسب الصوالح

والاقتراض أما داخلى ولا مورد له الاثروة الاهالى وهى فى ايتاليا غير ميسورة الا الى حد معلوم وأما خارجى وهو يتوقف على جهتين الثقة بالمالية وموافقة المصلحة اذ قد تتوفر الثقة بالمالية دون موافقة المصلحة كما لو أرادت الاقتراض من بنكات فرنسا ووثقت تلك البنكات بالمالية الايتالية فان مصلحتها تمنعها من أن تساعدها على غاية هى ضد صوالح قوميتها . وقد تقتضى المصلحة ولاتتوفر الثقة مثلا كما لو اقترضت من بنكات انكلترة وقضت المصلحة مساعدتها ولكن عدم الثقة بالمالية يحول بينها وقد تتوفر كلاهما ولاتساعد حالة القرض كبنوك النمسا والمانيا فان قومية كل فى حاجة الى مثل ذلك فهى أولى

فما ثم لديها من خزينة تعتمد عليها عند الرخاء والشدة الا التعاضد الوطنى القومى وهو متوقف على العوامل الطبيعية وأخصها افعال الوحدة الفكرية واجتماع المصالح العمومية فى مركز واحد يخدم حمايته الجميع وهو محل النظر والتأمل لان التعاضد الوطنى قوة لاتغالب وقدرة حية لاتعجز عن ايجاد ماتدعو اليه الحاجة الى آخر درجة تهيئها الاستطاعة ويبلغها الامكان

ولهذا يجب أن نبحث عن العوامل الطبيعية فى جسمها الاجتماعى فنقول ان ايتاليا المجتمعة هى بكر الملك وكتور امانويل والجنرال غاريبالدى ولم تبلغ سن الثلاثين

فهى وجود جديد النشئة قريب عهد بالحياة الاجتماعية ولكنه لم يولده الا القوة ولم يغذه غير دماء الاستقلالات الخصوصية الملوكية فى الممالك الايتالية المتفرقة فقد قامت ايتاليا على انقاض الممالك الصغرى التى سحقت ملوكها وهدمت مجدها الخصوصى واضافت كل ذلك الى ذات افورت آل ساووا ملوك الايتاليانيين لاعن سماح

ولم تمض عصور يمكنها أن تجفف رطوبة تلك المهج بل هى عروس الملك لاتزال مخضبة الكفين بحناء هاتيك القرابين الذين لاينسى حياً ميتها اذ

ليس عهد الوداع ببعيد

ولاشك ان أولئك الملوك ماكانوا شعرات اجتثت من فوق الارض مالها من قرار ٠ بل كان لكل بيت ملك ظل نعمة يشمل ألوفا مؤلفة كلها فاتته المصلحة الخصوصية بفوت ذلك النعيم وان مات الملوك أو بعض خواصهم فلم تمت تلك العائلات التي كان لها من ذلك حظ وحظوة فهي لاتنسى مافاتها ولاتقبل كل مانالها

وعلى ذلك ففي البلاد أرواح تتردد في أجساد لاترى لها ارتباطا صميميا في المصلحة الاجتماعية ولاتيأس من عمل ماسواء أصابت في ذلك أو اخطأت شأن من أضاع حقه وخسر نصيبه وهي قوة عظيمة بالطبع تختفي اقوة الحكومة تحت رماد الدمار ولكنها لاتضمحل لان جذوتها خميسة الحريق عميقة النبت في الصميم

ثم ان هنالك قوة هي حية الابد خالدة النفوذ وهي قوة المقام البابوي وهو المقام الذي لم يفطم من ثدي التحكم والصولة العظمى الابيد تشكل الحكومة الحاضرة فهو طفل الفطام لم يمر عليه الوقت الذي ينسبه تلك اللذة الممتزجة بالارواح على سبيل الملكات الموروثة الراسخة

وناهيك مايفعل المعتقد المقدس في النفوس وهي أس الفعل والانفعال في هذا العالم لاسيما والعالم الكاثوليكي عالم عديد الرجال قوي العمال كثير التبعة وافر الجند الروحي متسلط بالدين على عموم الكاثوليك وخصوصا الايطاليين وله الاموال الطائلة والاملاك الواسعة وليس يمكن أنه ينسى طلب حقوقه الجسمانية التي يعدها شعوبه من أقدس مايحافظ على احترامه من الواجبات

و بديهي ان التضاد الموقعي الراسخ بين الحكومة والبابوية لايسمح لهما بالاتحاد في كليات الامور و جزئياتها وخصوصا في مايلي الاختصاصات المتزاحم فيها وعليه فلا يوقف المقام البابوي عن طلب حقوقه التي لايبطلها الاقوة الزمان

وحينئذ يتضح لنا أن الشعب الديني وهو القسم العظيم وبقية عرائس الملوك المنقرضة على وفاق في الاميال والتألم مما فاتهما من النعيم الماضي وهما بالطبع حريصان عليه متى ساعد المستقبل

يضاف الى هذين العاملين عامل الجمهرة وأرباب الافكار المفرطة الذين مازجهم روح الجمهرة من تلقاء فرانسا وهم كثيرون وبالطبع انهم من قادة الافكار وحدة الآراء وأولئك لايلهيهم عن أعمالهم الا الثروة وتشعب سبل المكاسب ورغد العيش وهي الملهيات التي قاربت أن نضيق دوائرها في أغلب البلاد الايتالية ولن تفيدهم مراسح مصوع ذات الجو الملتهب وهم ينظرون جنات مناظر باريس تجري خلالها أنهار الذهب والفرنسا ويونان في

ماشهت أنفسهم يتقلبون وهم ولاشبهة أشد تباعدا من عداوة الفرنساوي بين لما بينهم من نسب الحربية والمناسبات الجوارية والجنسية وما يتخطرون من الارتباطات الصالحية

فيفهم من تشريح هذه الجامعة بأن اعضاءها العصبة جماعات ثلاثة من تتعلق منافعهم بالحكومة الحاضرة وأغلبها الجندية و بسطاء العوام ولكل ميل لعلة يدورها معلولها وكلها يتوقف على تأمين المنفعة وهي ليست الا من ثمرات مساعي الشعب وقد أبنا عناصره الطبيعية ويزاد على ذلك قيدان مهمان لهما الفعل الاقوى

هما عامل الكثلكة وليس يهمه جنس أوعشيرة ولكن يهمه المذهب فالمقام البابوي يستوي عنده الفرنساوي والايتاليانى بالنظر الى المذهب وأقربهما اليه أطوعهما له وأنفعهما لمصالحه فشعوبه بالطبع لا يفضلون الحكومة الايتاليانية مع منعها اياه مما يبتغي من حقوقه متى كانت الحكومة الفرنسوية لاتساويها في مقاومته بل ربما رجح ولاءها ولن تجد هي أيضا عضدا أقوى منه فعلا في النفوس

وعامل الجنسية اللاتينية فانها تربط بين الفرنساوي والايتاليانى باكثر مما يستميل الايتاليانى النمساوي والالمانى وانما يحسن للايتالى التفرد عن الفرنساوية حرصه على الاستفادة والا فاذا ضاق به العيش وترجح لديه اليأس من الانتفاع بالمبارات لم ير من فائدة في المواظبة عليها

و بناء على ماتقدم يعلم أن منافع ايتاليا لايضمنها غيرالقوة المالية والجندية معا لكن هل التوازن المالى يمكن أن يقوم بدوام التجهيزات الحربية المتزايدة أم لا ذلك يظهر لنا أنه غير كفو لادله هذه الوظيفة فهي اما ان تضطر الى تخفيض قواها الحربية وهي تتوقف أعمالها في ذلك على موافقة حليفتيها وأما ان تحفظ لنفسها حرية العمل بمقتضى المصلحة واما ان تحمل الاهالى فوق ما يحملون وذلك لايدوم الى مالانهاية واما أن تعترض أو تتوسع في أعمالها التجارية وقد تقدم الكلام عليها واما ان تمد خطوط مستعمراتها وهي مشغلة جديدة و يرد عليها مايرد من أوجه الاستشكال

والذي نظنه أن الايسر الوجه الثاني ولكن جهلنا بالمنيات العهدة الثلاثية يوقفنا عن الخوض في نتايج ذلك الانفصال مع تألم ايتاليا مما تكابده في هذه السنين الطويلة من نضب الثروة وكثرة المصرف

واذا لم يكن من جميع هذه الاوجه بد فليس لها من باب يقرع أو وجهة ترجى سوى إحدى

الحسنيين وفاق دولي على السلام العام وهو بعيد وان لم يكن بالمستحيل أولا لحرب عمومية تنتظرها الافكار على وجل ولكل أجل كتاب مؤجل

ولكنها في حربها تفتقر الى مقاومة العنصرين الاصليين الديني والملوكي وقديمهما الجمهوري أما أعمالها الحربية فهي مضمرة في ضمير الايام والظروف يكمنها الحال ويبديها الاستقبال

نظرة ١٣٨ يوم الثلاثاء ١٦ جمادى الاولى
سنة ١٣١٠ عدد ٢٧٥

(النمسا)

مضت جلتنا الاولى عن ايتاليا وسنجمل البحث اليوم عن امبراطورية أوستريا والمجر وهي الركن الثاني على سبيل الترقي للاتحاد الثلاثي على انها الاساس الثاني بالنظر للوحدة الصحيحة للاتحاد الثابت بين الدولتين فقد دام الوفاق بينهما على اختلاف هوج العوامل من جهاتها الثمان وقد كانت النمسا حليفة المانيا وثالثتهما الروسية ثم خرجت هي بمقتضى الظروف وخلفتها ايتاليا وهي الآن على ما كانت عليه في ذلك الزمان وللنمسا موقع مهم جدا وأثر عظيم على أحوال أوربا العمومية وهي فوق ايتاليا ودون مجتمعة المانيا في الاستعدادات والقوى وهي بزية القوة لا تعجزها البحرية اللازمة وهي أمينة الحدودين على تخوم المانيا وايتاليا بجامعها معهما من الوفاق ولها أمن من جهة صربيا اذا لم تتغلب عليها سياسة روسيا ولكنها تحتاج الى تقوية تخومها مما يلي الروسيا . فهي نقطة الاحتراز وهنالك نقطة بوسنه وهرسك ولهما بالطبع شأن آخر يترجم عنه لسان المستقبل بحسب المناسبات فهو إما أمن وإما خيفة

وجهة النظر الى العوامل الطبيعية فيها متشعبة الاحتمالات من حيث الاجزاء المتممة لمجموعتها السياسية فان اختلاف العناصر فيها غريب الامتزاج فان منها القسم العظيم وهو الحكومة المجرية وهي حكومة ذات وزارة منفصلة ومجلس نواب مستقل في أعماله ومناسباته ولها استقلال تام في الادارة والمالية وانما ترتبط بالنمسا ارتباطا من بعض الوجوه أهمها كون جلالة الامبراطور فرانسوا جوزيف هو ملكها مع كونه امبراطور النمسا

ولا يخفى ان معنى الارتباط لا يساوي معنى الامتزاج وانسلاخ الاستقلال على ان عد ذلك الارتباط ليس بالبعيد فلا يزيد عمره عن خمس وعشرين سنة أو ست وعشرين والغاية ان جلالة الامبراطور هو ملكها الاول في العهد الحديث

وحينئذ فالرابط الحقيقي بينهما الظروف لا سواها وهي لا تضمن على الدوام وخصوصا اذا اتجهت وجهة النمسا الى حيث لا يوافق اميالها أو اذا أحست بما يمس حقوقها فانها الا ترى لذاتها مجبورية على الاشتراك

معها فى احتمال ماليس لها به حاجة وبالاخص متى اشتدت وطئة الاعسار أو استمرت على وتيرتها الحالية لاسيما بعد ان تذمر المجريون من أحوال ماليتهم واثقال ديونهم التى لم يكابدوها الا فى سبيل مقاصد الامبراطورية فى الاغلب

ويضاف الى هذه الجهيون وفى مقدمتهم جهة المفتاة ولايخفى مالهم من المقاصد ضد الوفاق واحواله وماأثرت أفكارهم على سواهم فى السنين الاخيرة وناهيك ماهى لدنيات أميال البولونياويين الذين تلاشت دولتهم أكف الغير منذ سنين بين الروس والالمان والنمسا وهم الاقوام الذين لايفترون عن رعاية حقوق جامعتهم الاساسية كيف ما كان الزمان فهم بالطبع يترقبون فرص الايام لاعادة مجموعتهم الاولى واحياء دولتهم المنقرضة

وهم فى النمسا كاخوانهم فى المانيا لاينفصلون عن اشقائهم فى روسيا

فاذا فرض مايرجم به سياسيو أوربا من وقوع الحرب بين الدولتين ودولة روسيا لم يكن للبولونيا وبين دور سكون بين هاتيك الحركات لانها من الغنائم للجهات الاربع للنمسا والمانيا فى تحريك الباقى فى حوزة روسيا ولها فى تحريكهما وللمجموعة المقسمة احتمال وثبة وطنية قومية فهى بين احدى ثلاث أما انضمام لاحد الطرفين انتقاما وتخلصا وأما خروج عن حوزة الكل أولا فالثالثة وهى الحيادة عن الكل وبهذا يتم لهم معنى من التضاد لايجدده غير الآتى وهو الفيصل الوحيد

وعلى كل حال فليس للنمسا منهم عضد اذ اسلم امكان لعدم احتياجها الى اعداد قوة خصوصية تكون عليهم قيمة قائمة بما يدفع عنها غوائلهم من جهتى الداخلية أو الاتفاق مع ابناء ماتهم وقوميتهم

ولاتنسى هنالك الركن المهم وهو العنصر السلافى الذى لايسعه عند انتشاب نيران الوغى بين النمسا والروسيا ان يتوقفوا عن مساعدة اخوانهم وابناء جنسهم السلافيين بما تصل اليه أيديهم من القوى وأقلها عدم الاتفاق مع النمسا فى مناواتهم وحروبهم ولو فرضنا اختيارهم السكون والراحة على ماهم من البعد العظيم فان توقفهم عن معاضدة الامبراطورية كان كافيا فى الاضرار بها وناهيك ماهى أن يستفيدوا متى كان الموسم موسم حرب وهياج

والحاصل ان النمسا جسد عظيم المجموع جليل الهيكل متى أقبل هيب وأن جاس هال ولكن متى فحصت اجزائه يوجد انه اعضاء غير ممتزجة العناصر والطباع بل يشكله اعضاء مختلفة الانواع متنافرة الاوضاع فى الاتجاهات والطباع

وانما هى حزامة جلالة الامبراطور وسيرته المحبوبة عند عموم التبعة هى العامل الوحيد فى ضبط نظام هذه العناصر المتعاكسة الشديدة التعاند

فى القابليات والاستعداد

فهى وان كانت أقدم وأعظم من ايتاليا من وجوه الا أن وحدة الجنسية والوطنية التى تربط شعوب ايتاليا ليست موجودة فيها اذ يصعب توحيد الوجهة والمقصد بين السلاف والالمان وسائر الاجناس النمساوية ولولا ذلك لما اضطرت الى موافقة للمانيا ومحالفتها كما يظهر من دلائل الاحوال الداخلية والخارجية

وكذلك الوحدة المذهبية فانها مفقودة اذ ليس المذهب واحدا فى كل التبعة بل هى بورتستان وكاتوليك واورتدوكس ولا كلام فى ميل الكاتوليكيين الى تعضيد المقام البابوى وفرانسا كما أن اتباع الدين الاورتدوكسى لا يصح أن لا يميلوا الى الروسيا أو انهم لا يقاومون مناوانها أو اختيار الحياة على أضعف الفروض نعم ان كل ذلك اليوم رهين الخفاء ساكن الجاش ولكن هل من كفالة على اطراد خطة هذا السير اذا بدأتها يوما ما أثناء الحروب

ويومئذ تضطر الى سوقياتها الجندية وتخفيف القوة المحافظة الداخلية واذا صادف مع كل هذا اتحاد دولتنا العلية مع فرنسا وروسيا وهو ما لا نتصور له وجها من الامكان كان الخطر عظيما لان الحركات حينئذ تهدد حدودها على بلاد البلقان

وهى مع كل قد تحملت بالحزم والحكمة أحمال التجهيزات أكثر من اثنى عشر سنة لا تمضى سنة الا وما بعدها أشد منها وطئة وأوفر مصرفا وأعظم فى قلوب الامم وأموالها موقعا حتى أثقلتها الديون ولم يكن لها من الممكن أن تدافع نقص ميزانياتها المالية الا بدوام الاستقراض وازالة الاتعاب بالاتعاب الى أن أعيت الحيل وصعب العمل ودنا جانب المستقبل

فالنمسا والحالة هذه قوية الجندية مادامت قوية السلطة غير مهددة من قبل العسر المالى أو الاعتصابات القومية أو الانفراد بالذات وقد ضمنت الركن الاخير بوفاق المانيا ولكنها مفتقرة الى مدافعة العسر المالى بتوسيع موارد الثروة وليست تنال منه الاحظ السوقيات التجارية لانها لم تشعب مشاربها بسياسة الاستعمار الافريقى وغيره كما فعلت المانيا وايتاليا

وشأنها فى ترجيح السلم والحرب مرتبط بشأن حليفتيها فهى مع محافظة السلام مفتقرة اما الى زيادة المدد لمقاومة مصاريف التجهيزات التى وصلت فى أوربا الى حد قل أن يحتمل واما الى تنزيل الاستعدادات الحربية وهو الامر الذى يتوقف على موافقة المانيا وايتاليا وهو منوط بموافقة الدولتين روسيا وفرنسا والجمع بين الافكار على توحيد هذه النقاط غير مستحيل ولكنه ليس بالامر السهل القريب

وهى فى اختيار الحرب كذلك رفيقة صديقتها ولديها من القوة ما يغنيها ومن العلم ما يكفيها ولكنها

لا تضمن أثر الانفعالات القومية بمقتضى ما قدمنا من التشريح والغيوب مستترة وحوادث الزمان منتظرة وهي ميزان كفتي الاستحالة والامكان ولكل يوم شأن

نظرة ١٣٩ يوم الاربعاء ١٧ جماد الاول سنة ١٣١٠ عدد ٢٧٦

(المانيا)

المانيا أس سياسة الاتحاد على أغلب الاحتمالات فهي رأسه القوي وقلبه المكين وماهيته الشخصية ولبه الوحيد

المانيا استلمت راية التفرد في أوربا من فرنسا بعد حرب السبعين ولم تسكت عنها روسيا الالتعاض عن الفرصة التي اغتنمتها فرنسا من حرب ١٨٥٦ فكانت آمال فورجاكوف ان يفوز بمقام ذلك التفرد ببعض ضعف المتحاربين ولكن دهاء المانيا أسكتها عنها فتحولت الوجهة وعوضتها تعويضات أخرى في نظير استلام ذلك الزمام العام

ولم تبرح المانيا تحوط سياستها بالحكمة وتفريق الشواغل حتى استقام لها الامر فقامت بوظيفة التفرد وشد عضدها التحالف الداخلي والخارجي وهي كذلك الى ماشاء الله

غير اننا متى أمعنا النظر وأجلنا الفكر في لبابيات أجزائها الطبيعية التي تعتبر عوامل أساسية لجانبي الحال والاستقبال فلا نجد هنالك أهمية موقعية لا تخفى على بصائر الحكماء العارفين

فالمانيا يحوط حدودها نقطتان آمنيتان النمسا وايتاليا ولكن دون ذلك حدود الاقوى بين الاهمين الاعظمين الروس والفرنسيس ثم هنالك حدود الدول الصغرى كالبلجيك وسويسره وهولاندا

وناهيك بالالزاس واللورين سبيلا بين الفرنسا وبين والالمان وما يتخللهما من الافكار الميالة الى فرنسا والاشرئباب المتقابل بين الايتاليين وبين الفرنساويين وماذا عسى ان تكون سياسة بلجيكا اذا أمكن وقوع الحرب بين الفريقين بين اميالها لاحداهما فهي آمنها ومخيف الاخرى أم ثمة احتمال للحيادة فهي مأمن الطرفين

ويعلى على ما في الحسبان بولونيا المنقسمة ويرد عليها ما ورد في بحثنا عنها في بلاد النمسا فهي عضو أجنبي ولكنه حي الدم ميت الصورة لا يتخلف الا بمقتضى الظروف والمناسبات

يزاد على ذلك اشتراك بحرية المانيا مع بحرية روسيا في بحر البلطيق وهو اشتراك يصور هيئة أعظم أنواع التزاحم لاحتمال وصول الاسطول الفرنسوي مددا الى الاسطول الروسي وذلك وان كان بعيد الامكان لكنه غير مستحيل على الاطلاق وعليه فاكبر وظيفة تنتظر من بحريتها حماية السواحل وتلك نعمة تشكر ان كفلتها العناية

فهي والحالة هذه تحتاج عند الصدمة الاولى أن

تكون ذات قوة مخصوصة لمدافعة الالزاس واللورين والبولونياويين على أي حال من الاحوال وليست هذه القوة بجزء زهيد

ثم اذا نظر الى العناصر التي يتشكل منها جسم الاتحاد الالماني نجده ذا تضاد عظيم في نفس الامر وان لاح للناظر انه وثيق عرى الارتباط بسلسلة من الوحدة الجنسية الالمانية

فان الاس فيها حكومة بروسيا وهي أعظم حكومات الالمان وترتبط مع الدول والامارات المجتمعة ارتباطا عهديا له حدود معلومة يقف عندها كل من المتعاهدين

وليس العهد بأطول من مدة اثنتين وعشرين سنة فابناء الاتحاد الالماني لاولى سنيه لم يخرجوا من المكاتب في الاغلب ولم يستلم أحد منهم شيأ من زمام الادارة أصولا وفروعا الى اليوم بل العاملون في جميع حكوماتها أولئك الذين لم يذهب عن اذان وطنيتهم طنين التفرد وعز حرية الاطلاق

ولم يجمع هذه الدول الا مغناطيس الانتصار الذي حصل في حرب فرنسا فهو حينئذ ثمرة غرس أمر عارضي ليس له حق الوضعية الطبيعية في المجتمع

وهي وان شابهت ايتاليا في قضية توحيد الممالك الا ان ايتاليا سحقت الممالك والملوك من شعوبها فلا تنال بقيتها منها منالا الا بتضحية مصالح ذات بال وأما المانيا فلم تستطع ذلك بل انضمت اليها الممالك المذكورة مع بقاء استقلال كل منها في داخليتها واداراتها الخصوصية وان ارتبطت مع بروسيا في أمري الجندية والمسائل الخارجية

فلكل منها هيئة ملك وامارة مستقلة ووزارة مسؤلة ومجلس أمة حر الانتخاب والعمل وهي لا تقل عن اثنتين وعشرين حكومة ولكل نواب لدى مقام الامبراطورية يشكلون مجلس الريخستاغ الالماني

وليس يخفى أن كلا من هذه الحكومات لم يسع الا منافعه الاجتماعية أولا ثم يلاحظ منافع الجامعة العمومية الالمانية وربما دعته الحكمة الى تضحية جملة من منافع قومه عند الاقتضاء ولكن ذلك لا يصح ان يستمر بلا حد تنتهي اليه درجة التحمل

فأعمال المانيا في الحرب والسلم متوقفة على موافقة هذه الحكومات ومصالحها وناهيك ما يكون من الامر بين يدي لا اقل من ثلاثة وعشرين مجلسا كلهم حريص على منافعه خادم لها قبل مصلحة غيرها فلو احتمل تغليب حكمة الاتحاد على حب التفرد والاطلاق لما كان ذلك ممكن كفالة الدوام لا سيما عند المشكلات الكبرى كالحرب والسلم فان موافقة الكل عليها غير شأن سهل وان احتمل وقوع الاختلاف كان الحرب أشد وانكى

فبروسيا اما ان ترجح ذلك لنفسها وهي لا تكتفي في القيام بالتعهد المرتقب واما ان تستجلب مرضاتها وقد علم حكمها واما أن يتفق معها البعض دون الاخر

وهنالك سياسة التردد ولا يخفى ما لها من الاثر خصوصا في مواقع الخطر

وهنا نقاط ثلاث لا بأس بايراد الالماع بها أولها ان الجامع المخضع لتلك الممالك انما هو الانتصار وهي عادة تطبيقية في كل أمر ولكن هل من رابط بينها اذا تحققت المضرة في الاجتماع وضمنت لها المنافع الخصوصية في الافتراق أم لا

وثانيها هل من مانع لفرنسا وروسيا اذا فرض وقوع الحرب ان تتخذاها ضد مملكة بروسيا وامبراطورية المانيا لاضداد أشخاص الممالك المتحدة فتضمن ان لكل منها استقلالها الذاتي وتسهل عليها سبل الانفصال والخروج عن اتعاب القتال وتكتفيان من الانتصار والانتقام بهذا التفرق والانقسام ولا يهولهما وجود تلك الممالك على حالها الاول أو أشد استقلالا وتباعدا . الثالثة اذا فرض أن تلك الممالك لا تقبل ذلك مع تيقن الانتصار فهلا اذا أوجست الخيفة وخشيت العاقبة لا تجنح الى طلب السلامة والاستقلال والاطلاق الذي لا يضرها بقدر ما يضرها احتمال نتائج الحروب

فيظهر من هذه الملاحظات أن تمديد حياة الاتحاد الداخلي الالماني منوط بتمديد حياة الاتحاد الثلاثي الخارجي اذ به الوقاية والاستئناس ولاجل الوصول الى توثيق تلك العرى الارتباطية داخلية كانت أو خارجية تضطر الى توسيع نطاق المالية بازدياد الموارد الطبيعية والصناعية من ينابيع التجارة والاستعمار كافعلت وتزييد القوة العسكرية حتى تحفظ صوالح الاتحاد الداخلي بداعي الرغبة في الانضمام والرهبة من عوامل الانفصام

على ان التجهيزات المستمرة قد أخذت حدها الاوفى في تحميل الامة احمال المصاريف بحيث صار من الصعب عليها أن تجيب الى مايرد على مجلس الريخشتاغ من المقترحات كما لا يخفى على من راجع تاريخ التنازع السنوي في هذا الشان وارتقائه عاما بعد عام

وضف على كل هذه مسئلتين مهمتين الاولى قوة الحزب الكاتوليكي وأعظم عناصره الفعالة باويره وساكس من ممالك الاتحاد والثانية شيوع فروع السوسياليست الذين لا يهمهم غير منافعهم وترقي وحدتهم لاسيما بعد ان جملت حقوقهم دولية باجتماع مؤتمر السوسياليست فقد اعتمدت المانيا على أن تكتسب سخط حزب عظيم هو الاشترا كيون ضد البرنس بسمارك وألغت القوانين الشديدة التي كان يعاملهم بها على علم وتبصرة بالامور وحاولت أن تنال رضاهم بطيب المعاملة وهي غاية لا تنتهي الا بالعجز عما فوقها ذلك رجع بعيد

فكان الاشترا كيون يدافعون تلك الشدة فلما قوبلوا بالرخاء وجدوه سبيلا الى العمل لبلوغ الامل فسار وا رويدا تارة وعلى عجل أخرى وناهيك ما يكون

من رأى العوام اذا وجدسعة للقال وفسحة فى المقام

فاذا نودي بالحرب أيقدم الكاتوليك على فرنسا أم يقوم السوساليست فى خدمة الحرب بما يلزم هنالك لابد من التبصر

والغاية ان المانيا تحتاج اما الى حرب وانتصار والا فالى سلم واقتصاد والترجيح بين هذين النقيضين من وظيفة الاستقبال لا الحال والله عليم بذات صدور المقدور

وقد انتهى كلامنا عن الاتحاد الثلاثى ومبدؤ بحثنا حديث فرنسا و روسيا ركنى الاتحاد الثنائى وموعدنا به يوم غد ان شاء الله تعالى

نظرة ١٤٠ يوم الخميس ١٨ جماد الاول

سنة ١٣١٠ عدد ٢٧٧

(فرانسا)

الكلام على فرنسا وقوتها المالية والجندية وتوسيع نطاق أعمالها السياسية متن تطول شروحه واجمال يستغرق كثيرا من المداد تفصيله

فهى أم التمدن الاوربى ومنبع مهم من منابع علوم أوربا وأعمالها المدنية وماهيتها من أظهر الماهيات للعالم الشرقى بالنظر لكثرة الامتزاج فى ما بين قوميتها وبين الشرقيين ولذلك يستغنى المتكلم عن كثير من الايضاحات

ففرنسا قومية مشتركة فى الدم والاخلاق والاميال العمومية الوطنية ليس فى جسمها الاجتماعى من أجزاء فعالة غريبة عنه أجنبية عن احساساته العائدة على الحياة الاجتماعية وهى أكبر القوى التى يعتمد عليها الدم الفرنساوى على ما نعلم

وقد برهنت القومية الفرنسوية على صدق رابطتها الاجتماعية بكثير من الوقائع وأخصها تضحية المليارات الخمس التى قامت بها لالمانيا بدون ان يعقدها فتور الملل أو ان يقصر باع احتمالها مشقة العمل

نعم فرنسا لا تخلو من احزاب قوية الشكيمة صعبة المراس مقاومة للافكار العمومية الحاضرة كالاحزاب الملوكية والامبراطورية ولكنها مع هذه النقائض تجتمع تحت نصرة كلمة واحدة هى الجنس الفرنساوى وتشترك فى الاستعانة بين يدى نقطة متحدة ليس الاحيانة مصلحة القومية الفرنسوية

فالروح العامل فى جسم فرنسا الوحدة الجنسية التى لا يفارقها عاصم الاشتراك فيها الا الاجنبي الذى لا حظ له فيهم ولا حظوة بينهم

وقد تمكنوا بصرف طوافين الدماء من اعلان اسم الحكومة الجمهورية مرارا ودوختهم الانقلابات ادوارا من الزمان ولكنهم لم تعجزهم تلك الاهوال عن اقامة هيكل الحرية والجمهرة

وهى رابطة لا يتهددها الا احتمال واحد وهو خيال عودة حكومة ملوكية أو امبراطورية من الممكنات البعيدة التى لا تبعد كثيرا من جانب الاستحالة ولو فرض ذلك فان الملوكي والجمهوري

لم يختلفا فى وظيفة الجنسية الوطنية الفرنساوية وانما يفترقان فى صورة ادارية شؤون المملكة

نعم ان فى أصول شعوبها اضدادا ولكن مرور الزمان وتوحيد اللغة والعادة والمألوفات ومبادى الحرية قد محت كل تلك التغايرات

وكان يمكن أن يتهدد سلامتها الداخلية شأن المقام الباباوى لما لها من المذهب الكاتوليكى السائد عليها رسميا وفعلا لو كان المقام المشار اليه غير مغبون الحقوق الجسمانية من قبل حكومة ايتاليا التى هى اليوم حليفة المانيا فانه حينئذ كان يؤثر على قلوب الشعب بسلطة الدين ولا يعترض على مقالنا بسقوط تلك السلطة وسعى الفرنساويين فى تفريق الدين من السياسة فان ذلك لا يصدق الا على افراد قليلين جدا بالنظر للسواد الاعظم فهم بالطبع منقادون لاميال العامة اما اعتقادا واختيارا واما مداراة واضطرارا وناهيك ما يبذله الفرنساويون من العناية والاهتمام برؤسائهم الروحانية وكنائسهم ومدارسهم وتمز يزحر يقتضرفهم فى كل ما يشتهون من الاعمال . ولا حجة بما فعلوه من الابعاد فانها حجة لا محل لها من الاهمية لانهم وان أبعدوا أولئك الرؤساء من فرنسا فقد أوسعوا لهم الارض وسهلوا لهم الصعاب فى نشر الدين الكاتوليكى وصانوهم بالمال والجاه والقوة والنفوذ السياسى فى جميع الممالك ولو أن طردهم صحيح السند كما يتصوره البسطاء لما أخذوا اقناصلهم وسفراءهم فى جميع الممالك لهؤلاء الرؤساء فيظهر بالبداهة أن هذا الابعاد ليس على سطحياته بل له لدنيات أخرى نحن لا نجهلها ولا نقول ذلك رجما بالغيب ولكن نروى ما نعلم عن احاطة جلية وخبر مبين لكن وقوع التضاد بين مقصد الحكومة الايتاليية واميال البابا قد حمى فرنسا من خشية سوء تأثيره عليها بل جعله عضدا عظيما لها وخصوصا على الفوز فيما اذا وقعت الواقعة بينها وبين الايتاليين

وقد أثرت فيها مبادى الحرية جملة آثار حياتية أولها انتشار العلوم وحرية التصرف بها فتمكنت من ازالة أكبر أسباب الجهالة فعرفت واجباتها الذاتية وايدت فى نفوس ابنائها حرية التصرف فلم يروا الى معنى الاهانة من أثرفتم بينهم التعاون والتعاضد لجزمهم بان الحرية تسوق مجموعهم فى الاستفادة من خير الوطن فعدوا ذواتهم شركاء هيئتهم الحاكمة الى اقتسام وظيفة مدافعة الشرور كما اتفقوا على اغتنام الخيرات

وبما أن حكومتهم ضمنت لهم حرية الاعمال وأحاطت مشروعاتهم بحماية القوة الاستشارية فى الداخل والنفوذية والحربية فى الخارج فقد تيسرت لهم أبواب المنافع فلذت لهم الوطنية وغلا فيهم حب الجنسية الاجتماعية فطلبوا وظائفها طلبا قانونيا فعمت الثروة وتوزعت المنفعة وزاد حريتهم

فى الاعمال والصنائع الداخلية توسع نطاق تجارتهم واستفاداتهم المادية والمعنوية فى أغلب بلاد العالم فزادت رفاهة البال ورغد المعيشة وبمقدار ما علموا من ذلك النعيم حرصوا على دوام أسباب دوامها فهذا تحركهم عواطف القومية فلا يقدمون عليها شيأ من فضائل الحياة السياسية

ففرنسا لا تخشى من عنصر من عناصرها ولاء لغيرها عليها كما أنه لا اختلاف من عنصر المالية لو أرادت ان تبنى قلاعا من الذهب وحصونا من الفضة أو ترى القنابل من أغلى الجواهر النفيسة ولا تذكر ان هنالك افتقارا لغيرها فى علم حربى أو مدنى أو صناعة وابتداع أو اتباع فلا تهدد حياتها الاجتماعية الا أحوال ثانوية محدودة منها سرعة الانقلابات الوزارية الدالة على عدم رسوخهم فى المبادى السياسية أو الحربية التى يجب أن يقوم بها الرجال المجربون الذين تطول خبرتهم بالدنيا وبالشؤون حتى يكون لهم مقام التفرد والقدرة على تنفيذ ما يقتضيه المقام عند ضرورة استعمال القوة

فان طول مكث المأمور السياسى فى مركزه يخوله تمكنا من الاعمال واقتدارا على استخضاع العمال كما ان مكث المأمور الحربى فى وظيفته يمنحه السلطة القهارة التى تجبره الحالة على استعمالها فى مواقع الحروب وهى مناقع الدماء التى لا يكفى فى اختبارها مجرد الميل الشخصى بل لابد هنالك من خوف قدرة الرئيس والاعتماد على الحرية الشخصية بين يدى الاوامر العسكرية وهو الامر الذى يصعب احتماله لا سيما على أليف الحرية والعلوم والفنون وهذا الخطر ليس بالهين المحتقر

وحدودها مهددة من كل طرف بالمانيا والنمسا وايتاليا وبلجيكا وسويسره واسبانيا ولكنها تعتمد فى ايتاليا على الجمهوريين والبابويين كما تعتمد فى حدود المانيا على ولايتيها الالزاس واللورين والحدود الاخرى شأنها ما تقدم من البحوث وقوتها البحرية لا تعجز عن حماية سواحلها امام أية قوة ممكنة مع امكان مساعدتها لروسيا أو الاضرار بايتاليا وسواحلها

فماهية فرنسا الذاتية قد لا يخشى عليها الا كان العمل بالاقتصاد الحربى ولكن يهمها حفظ مستعمراتها فى مداغشقر وترانسوالها ويمكن أن يهددها اسطول واحد وليس هو الا الاسطول الانكليزى

وهنالك الشاغلتان العظيمتان تونس والجزائر فانها تحتاج عند وقوع أى حرب بينها وبين احدى الدول العظمى الى ايجاد قوة عظيمة مسلحة تحمى بها الحكومتين المذكورتين خصوصا اذا كانت متحدة مع الروس مناوية للدولة العلية والحالة ما ذكر لا نؤمن أن تحتل الدولة العلية تونس والجزائر وان يتفق معها على هذه المبادى دول الاتحاد الثلاثى نكاية فى خصيمتهم حينئذ

ولا ينتظر المدد من روسيا لصعوبة المواصلات وبعد امكان الحصول

والعوامل الطبيعية فى فرنسا داعية الى حب السلام فهى لا تضطر الى الحرب ولا تتألم من السلم بشئ دون سائر الدول

فانها لا تخاف من الديون ولا تبالى بشئ من عسر المالية ولا تتكلف للجندية مثل ما تتكلف الالمان والنمسا وايتاليا من التكاليف التى تحارب خزائنها فى وقت السلام وذلك لوفرة الثروة الفرنسوية فهى بالطبع لا تحتاج الى الحرب لانها لا يضرها السلم وانما يدعوها الى الحرب وترك الراحة أمر واحد هو قضية أخذ الثار من المانيا واسترداد ما كان لها من المكانة السياسية بين العالم الدولى وهو الامر الذى دعا المانيا الى الاتحاد الثلاثى واضطر أوربا عموما الى المسابقة فى أمر التجهيزات الحربية الى اليوم وهو كذلك الى ما شاء الله

نظرة ١٤١ يوم السبت ٣٠ جمادى الاولى سنة ١٣١٠ عدد ٢٧٨

(الروسيا)

من أقوى دول العالم الارضى رسوخا وأشدها متانة وأقدرها على معاناة الامور

روسيا أمبراطورية مطلقة الا فى أساسياتها السياسية التى هى تحت كفالة التواصى والتوارث الراسخى الملكة فى الدم الروسى ولا معنى للاطناب عنهما فان ذلك بمثابة الواحد نصف الاثنين

روسيا بملايينها وشعوبها وهيكل مجموعها الاعظم جسم فولاذى التماسك بلا تينى الاصطبار قائم بمنظره الدهاش على قدم الامتثال بين يدى جلالة الامبراطور متحرك بحركة شفتى جلالته بين لا ونعم فكل ذلك الهيكل ينادى لا أكثر من خمسين أو ستين مليون مرة مندمجة فى ثانية واحدة وبين نعم فهو نداء أولئك الملايين كذلك ليس لهم من كلام سوى لبيك لبيك ما شئت أيها النافذ الارادة والنعم

فروسيا هى بعظمتها التى تميد من هولها الجبال وتنشق من دكادك سنابكها صم الصخور وهى أخف من رمزة طرف أو غمزة كف متى اقتضت ذلك ارادة جلالة القيصر

ذلك لانه امبراطور أجسامها سياسيا ومالك رقابها وأرواحها دينيا فهو بهذين الجناحين يرفرف فيظلل فسيحات ممالكه الشاسعة الارجاء البعيدة الانحاء فيمطر على من عصى صواعق الويل والدمار ويظلل من أطاع بظلال الصولة فلا يصل اليه الاسوابق الاقدار فتبارك الله الذى أعطى ومنع وفرق وجمع وقدر ما شاء فى ما شاء وهو الواحد القهار

روسيا فيها من الشعوب والامم خلق كثير ولكل أميال قومية لا تنكر ولكن كل عرف عجزه فاستسلم للقوة وهى النظام الذى يحدد حقوق الشعوب فهى عدالة أخرى معروفة لدى عالم السياسية وقضاتها المصلحة

-- روسياحية الابدية السياسية بقوة عنصرها الطبيعى وهو دم السلاو

ذلك الدم المتين الياقوتى الصبر على الجمر وافراده لا يقلون عن ثمانية وثلاثين مليونا تحت العلم القيصرى دم وجنس وفكر وميل وعادة ولسان ومذهب واحد كلها مربوط بسلاسل من فولاذ الاخوة كلها جسد واحد تحركه يد الروح الواحدة هى شخص جلالة القيصر

وناهيك بما يكون من هذه الوحدة السائدة بالقوة والعصبية القومية وما عسى ان تؤثره على من تحت يدها من الشعوب والاقوام على مرور الزمان وذلك ما فعلته بقوة السياسة ولا تزال على عزمها المتين

روسيا وجد فيها القسم من بولونيا كما وجد فى المانيا والنمسا حين ورثت مجموعها السياسية وهى دم حى لا يبرح يحاول الانضمام الى شقيقيه فهى فيه بين تخصيص قوة تقوم ضده فاما هى حى فيموت واما هو ميت فلا حراك له وبين ان تحييه جامعة سياسية فتعيد دولة بولونيا الى اسقلالها القديم نكاية فى النمسا والمانيا وناهيك ما عسى ان يحدث هذا المشروع من الانقلاب اذ يجتمع الى القسم البولونياوى الروسى القسمان الآخران وهنالك طامة لا قبل لدافعتها ولا يضر ذلك الروس لا منها أمدا مديدا فى المستقبل بخلاف ما ينال الدولتين

ويوجد فيها قسم المانى الجنس ولكنه ضعيف البأس فلا يعوزها عليه الاقامة فرقة جندية أولا فتفرقه فى السكنى عند الاحتياج وهى لا تشاور فى ما تريد لكن تريد ان تفعل وبالعقل تفعل

ومن شعوبها الكرج وقد امتزجوا بالجنسية الروسية بعد ان علموا ان لا حياة لهم بدون ذلك وكذلك شعب من الارمن وقد قنعوا منها بالوحدة الدينية لما علموا من ان اخوانهم الآخرين تحت يد المسلمين وفى حكومتهم مقسمون ما بين الدولة العلية العثمانية ودولة ايران

وبينهم بعض فرق أخرى لا أهمية لها وهى مندمجة فى خلال الشعوب

وحدودها ممكنة التهديد لطول مسافاتها فهى تتاخم المانيا والنمسا وأسوج ورومانيا ودولتنا العلية والدولة الايرانية وحكومة افغان وفغفورية الصين وبحريتها فى البلطيق مشتركة بينها وبين الالمان كما ان بحريتها فى البحر الاسود تقابلها بحرية الدولة العلية

وليس لها من أمل فى مساعدة فرنسا على حماية حدودها اذا فرض وقوع القتال بينها وبين الاتحاد الثلاثى ولكن اذا لم تكن الدولة العلية والدولة الايرانية ودولة رومانيا والافغان والصين على الحيادة يصعب عليها حماية الحدود خصوصا فى آسيا لاسيما اذا كانت الدولة العلية على غير الحيادة فان روسيا تفقد معاونة جميع رعاياها من المسلمين وهم لا يقلون عن

نحو خمسة وأربعين مليونا ما بين داخل تحت تابعيتها وواقع تحت حجرها واحتلالها او بالاخص الاقوام التركية والتاتارية والماغولية والقبائل البادية والعشائر المتطائرة التي تجتمع مع الدولة العلية في القومية واللغة الاصلية والشعائر المذهبية وهي الامم القوية النزعات التي لا تحتاج في نجاح حركاتها الى غير وصول الاسلحة الجديدة اليها وهي ايسر ما يبذل عند احتدام نيران الوغى بين الفريقين

ويزاد على ذلك انضمام قوة دولة انكلترة لحماية حقوقها في الشرق ويمكنها ان تساعد بثلاثة من أنواع القوى سوقيات الجنود الهندية والانكليزية من كل فج عميق وسوقياتها البحرية مما يلي البحرين الابيض تلقاء فرنسا والاسود على سواحل روسيا وسوقياتها المالية التي تفيد بها وتستفيد منها

وهذه الاحتمالات انما تحقق عند ترجيح أحد النقيضين الحيادة أو عدمها فحيادة الدولة العلية تقي روسيا من أعظم ما يخشى من الاخطار وخصوصا الاسيوية وهي تكتفي في مظاهرتها على أوروبا واما اذا فرض زوال حكم الحيادة فهي امام الاتحاد المثلث وقدمر الكلام عليه وامام المثنى وحينئذ تستفيد الدولتان فوائد عظمى وهو بحث يطول شرحه عند الكلام على الدولة العلية أدامها الله

وروسيا وان عدها الافرنج متأخرة في التمدن الآن الامر على غير ذلك بل هي متوفرة العلوم اللازمة عند الخواص الذين تقوم بأيديهم شؤونه التدبير والادارة ولم تجعل للعوام حظ الخواص من العلوم حتى يقع التزاحم الوطني فتضيق فسحات الارزاق والاعمال ولذلك هي لا تخشى الاعسار الاهلي مهما بلغ شأو الشدة والرخاء ولا تفتقر في أعمالها وعمالها الى استرضاء الشعوب والتماس أفكار العوام بل هي تريد والعامة تعمل بلا تردد

ولا ترى انفسها مجبورية الى استشارة الامة في تقرير مشروعاتها الادارية أو الاصلاحات أو اعداد أسباب الحرب والسلم أو اعلان حرب وسلم مع أية دولة من الدول فوظيفة كل ذلك راجعة الى شأن الحكومة وارادة القيصر ولذلك هي تعتني باتقاء الخواص من كملة الرجال وذوي الاصالة منهم فهم يقيمون الامور ويقعدونها بمقتضى السياسة الاساسية الروسية

فلا يعوزها وضع ضرائب مهما بلغت على الامة ولا تعظيم عدد الجنود أو استحضار كل ما يلزم من المعدات حتى أنها تقيم الاوراق مقام الدرهم والدينار فتجعله نقدا حتمي القبول على كل من يشمله الحكم الروسي وهو مورد لا ينتهي مدده ولا ينقضي أمده كاف لاداء جميع الاحتياجات فهي عند الضرورة تستغني عن معاملة العالم الاوروبي بهذه القدرة العظمى في بلادها

ومع ذلك فانها زاحمت أوروبا في تجارتها الخارجية

فضلا عن محافظتها على داخليتها او بالاخص الداخلية الاسيوية

والعامل الطبيعي فيها سياسة السيادة والفتح في بلاد آسيا فهي مجبورة على حماية المسيحيين الاورتدكس في الشرق وحماية الاستقلال السلافي في ممالك أوربا ومطامعها السياسية منصرفة في الاغلب تلقاء المشرق

وبهذه السياسة اتسعت المناسبات بينها وبين الدول الاوروباوية والاسياوية ولما كانت مستعمراتها متواصلة برية لم تحتج الى قوة بحرية احتياجها الى القوة البرية

وسياستها تميل بالطبع الى المسالمة لما فيها من الفائدة العظيمة

أولا لانها مفتقرة الى تعميم خطوطها الحديدية في ممالكها المتباعدة ليمكنها أن تجرى أعمالها العسكرية وعملياتها المهمة على ما يناسب حالتى الفن والزمن في استحضار الجيوش وسوقها بغاية من السرعة وكذلك المواصلات والتقلبات

وثانيا لانها مجبورة على تتميم التحصينات الضرورية بانشاء الحصون والقلاع وادخار المدخرات الحربية التي يلزم أن تكون تحت ارادتها في كل مكان وزمان لاسيما في البلاد التي هي قريبة عهد بالفتح والتسخير الروسي

وثالثا انها بفرصة المسالمة تتمكن من تزييد الثروة الوطنية والقوة بنشر الاصلاحات والتجهيزات معا واختراع وسائل الاستفادة

ورابعا أنها لا تتعب في ادامة التجهيزات في حالة السلم كما تتعب الدول الاخرى فهي بقدر استطاعتها من تأخير الحرب تستزيد قوة وتزيد نظرو عنايتها فمصلحتها في تمديد أجل السلام الى أن تكمل معدات الحرب والانتصار ومصلحة نظرائها في التعجيل كما لا ينكره العارفون الخبيرون والله أعلم بما سيكون

والى هنا انتهى الكلام على دولتي الاتحاد الثنائي وبحثنا غدا ان شاء الله عن موقع دولة انكلتره وهي احدى دولتي الحيادتين ثم نتلوه بالكلام على مركز دولتنا العلية وهي ذات الحيادة الاخيرة

نظرة ١٤٢ يوم الاحد ٢١ جمادى الاولى سنة ١٣١٠ عدد ٢٧٩

(انكلتره)

أسلفنا القسم الاول بالكلام على دول الاتحاد الثلاثي والقسم الثاني بيان أحوال دولتي الاتحاد الثنائي وهذا قسم دولتي الحيادة انكلترا ودولتنا العلية وبحثنا اليوم عن انكلتره وعليه نقول

انكلتره من أقوى دول العالم في جهة السياسة والمال والبحرية

فان قواعد سياستها المتانة والاقتصاد والرسوخ وثبات القصد سواء في ذلك ادارتها الداخلية ومناسباتها الخارجية

لان السياسة الاصلية فى ادارتها سياسة اصالة وحرية معا فهى مشروطة الاحكام ذات مجلس عمومى ومجلس لوردات ووزارة مسؤلة وقانون حر بحيث لا يضاد مزايا الحيثيات الممتازة

فالحكومة قائمة باشتراك جوهرى بين شخص الهيئة الحاكمة وبين عظماء الشعب القادرين على الاعمال من حيث الصفة والثروة فالمصلحة فى الكل تحت تكافل الاقوياء وهى أصح الروابط لانها تضم الكل الى رعاية الوجهة الاحتياطية بنسبة ما يترتب على درجة الانتفاع المادى والمعنوى وهو العاصم الطبيعى الذى يمنع الانسان من التساهل والتغاضى

ولم يحرم الشعب حرية عظيمة فى أعماله وتصرفاته التى تناسب شأن الحكومة بمقتضى الدستور الاساسى

ولما كانت السياسة الاساسية منحصرة فى أكابر الناس كانت محوطة بالتروى والتثبت وكانت المناسبات فيها لا تجرى الا على مقتضى المصلحة فلا تقدم الا على تدبر ولا تأبى الرجوع الى الاصلح متى اقتضته الاحوال

ولما كانت الحرية الشخصية قاعدة أساسية فى معاملة الافراد والكل مدفوع بقوة المشروعات الموضعية الى العمل تأسس فيهم المألوف الوحيد وهو باعث الاقتصاد الشخصى وحب العيش بجهد الاعمال وتركت بينهم مألوفات التراخى

وبما أن الامتيازات محترمة فقد عرف كل مقامه من المجتمع ووظيفته لديه ونفعه منه فعمل لذاته ولقومه وعم فيهم حب الوحدة الوطنية والجنسية على ما هنالك من تباعد النسبة بين الاكابر والاغنياء والاصاغر الفقراء

ولم يوجد بين القومية الانكليزية عامل خارجى أو عضو أجنبى حتى يكدر صفو الجامعة القومية فالكل جسد واحد ومقصد متحد فى اعلاء شأن بريتانيا العظمى

ولما كان الاقتدار والجدارة منحصرين فى أهل الثروة والثروة الطبيعية غير كافية لان تهب الفقراء نعمة العيش الرغيد اضطر الاهلون عموما وذوو اليسار خصوصا الى التماس الثروة بالاوجه الممكنة وليس ثمة قابلية لغير الصناعة والتجارة وتوسيع نطاق الاعمال لايجاد منابع معيشة تفى بالاحتياجات

فلهذا اشتغل الاهلون باستخدام المادة والمعلومات فى الاستفادة منها فرسخت فيهم المبادى الراسخة من سياسة العمل بتعميم الصناعة والتجارة وغيرها

ولما لم تكن تجارتها الداخلية كافية لاعاشتها وكانت الوصلة الخارجية منقطعة بينها وبين العالم الا من طريق البحر اضطرت الى توسيع دائرة بحريتها وهى مفتقرة بالطبع الى حماية منافعها التجارية واعلاء شأوها فلذلك اضطرت فى تعزيز تلك التوسعات الى ايجاد قوة مسلحة بحرية

وبمقتضى تعمم المبادي التجارية طبعت نفوس قوميتها على الاقتصاد السياسي والاداري ولما رأت أن التزاحم الحربي المحض لايفيدها استعملت مبدأها في سياسة التعامل الدولي من جهة وفي سياسة الفتح والاستعمار من جهة أخرى فهي بالطبع تقدم السلام على الحرب مطلقا مالم تضطر الى ذلك اضطرارا صحيحا

بناء على هذا الاساس لم تشتغل بالتغلب الفعلي في أوربا بل قنعت منها بمجرد حفظ التوازن السياسي على ما تقتضيه المنفعة الحقيقية واشتغلت بفتوحاتها السامية التجارية في أميريكا والشرق جريا على قاعدة الاقتصاد وبذلك اختارت مرونة السياسة مع الاقوام فتمكنت من مرغوبها بتلك السياسة المرنة المتينة لدرجة لم ينلها رجال الفتح القسري ولم تصل اليها جبابرة الحروب حتى جمعت تحت لوائها نحو ثلاثمائة مليون من الامم وتمكنت من أمنع المواقع بدون وقائع حربية تذكر

فهي اليوم وقبله وبعده لا تعجزها ثروة ولا يبعد عليها استحداث أي قوة بمالها من المال والبحرية ومتانة السياسة وجدارة الساسة فالعامل الطبيعي فيها السكون والاقتصاد من كل الوجوه

ولكنها محوطة بمراقبات ثلاث الاولى فرنسا والثانية أميريكا فكلتاهما تباريانها في الصناعة والتجارة والقوة البحرية ولكن بريتها دون برية فرنسا كما لا يخفى

والثالثة الروسيا وهي أقوى الدول برية وأشدهن على الشرق حرصا وأقربهن الى الهند طمعا وميزان حرارة هذا الطمع تمكنها من قرب الجوار والتوغل في بلاد تركستان الشرقية ولهذه الموازنة حديث غامض المتن طويل أذيال الشروح

وانكلتره آمنة التخوم باحاطة أسوار المياه من كل طرف فهي في حصن منيع طبيعي لا تحتاج الا لامرين عظيمين كلاهما حاصل عندها القوة البحرية وتسليح السواحل ومن العبث الاشتغال بالكلام على هاتين القوتين لانهما من المعلوم بالضرورة

وغاية ما يقال ان انكلتره قطعة من حديد محفوظة بالماء لا يهددها شيء في ذاتها وغاية همها فقط حفظ حدود مستعمراتها الواسعة ذات الحدود الكثيرة

ولا يعنيها في داخليتها غير قطعة ايرلانده وهي شديدة الشكيمة ولكنها مقطوعة جوائم السياسة المائلية فهي تحت القانون الانكليزي كيف ما كانت وكان لانها مأخوذة تحت حجر طبيعي من الماء فلا تصل الى عمل خارجي الا بالقوة البحرية ولا امكان لان تشكل تلك المراقبة القوة البحرية الانكليزية ولو سلم لها امكان مددما لما سهل ان يتصور له الغلبة فهي تحت الحصار الابدي من جهة حدودها وهي مستضعفة المعيشة في داخليتها فلا

خوف منها عند الجد مهما زخرف الكلام عن عصبيتها ازراءية وحزبها

ومستعمراتها الاخرى محمية بحراً كثر مخصوصة أولها ان مستعمراتها بعيدة عن التجاور الدولي الذاتي ونريد بالذاتي هنا التجاور الاستعماري أي ان مستعمراتها يمكن ان تجاور مستعمرات دولة أخرى ولكنها لا تجاور ذات وطن دولة من دول أوربا وهو فرق دقيق جداً وله من الاهمية بمكان

الثاني ان تمكنها من جبل طارق ومالطه وعدن وحفظها حرية قنال السويس سهل لها حماية تجارتها البحرية وصيانة مستعمراتها مما يلي البحار بامكان سوق الاساطيل القوية في كل وقت احتياج

الثالث عدم وجود حقوق اصلية في مستعمراتها لدول أوربا العظمى وبناء على هذا الاساس لم تجد في فتوحاتها السياسية السلمية التجارية صعوبة حربية بينها وبين الدول العظمى فلم تحتج الى ما لا يطاق من التجهيزات الحربية

واخص مخاطرها الاستعمارية بلاد الهند وقرب حدود الاستعمار الروسي اليها لان التزاحم بري عظيم والهمة الكبرى برية في تلك الاقطار وهما نظرة المعروف الخبير وهي أن التجاور الاستعماري بين الانكليز والروس اضافي دونه تجاور طبيعي بين الهند وتركستان وهما أقوام متماثلون تجمع بينهم الرابطة الاسيوية وسيادة الدين الاسلامي في الاخيرة

وأغلب الاولى . والنقاط التي يجب النظر اليها بعد هذا . أولاً تحقق الكثرة في الهند من جهة عدم الجموع على تركستان آسياوشعوبها وثانياً حياة الاهمين السياسية وأحوال الامراء والملوك والخانات الماغولية والتركية والهندية والافغانية وامبال كل نحو دولته وحزبها . وثالثاً فرق معاملة الدولتين مع المستعمرتين ونتائجها في التأثير على الاحساسات العمومية

ورابعاً فرق أحوال الثروة الطبيعية والصناعية ورغد العيش والحضارة وهما منابع الاستطاعة على الدفاع والهجوم وارادة ذلك وعدمها

وخامساً فرق التعليم وسعة المدارك والتقرب بين كل من المستعمرتين ودولتها ودرجة وحدة الحال بين الجنس المستعمر والمستعمر فانها من الروابط التي يعتمد عليها في العمل

وسادساً التوازن بين أمل كل مستعمرة من تغلب دولتها على المستعمرة الاخرى وما تنتظره من فوزها بغايتها وما تخشاه من تغلب الدولة الاخرى على دولتها

وهي النقاط الاساسية لهذه السياسة التي جرت أفكار الرجال المتعبين بها ولا يسعنا الآن المرور عليها الطول شرحها وعسى أن نهتم وقتاً مساعداً لتفصيل هذه الجملات خدمة لافكار محبي سياسة الشرق

نظـــرة ١٤١

عوامل المستقبل فى أوروبا

دولتنا العلية العثمانية

مهما أردنا أن نتكلم عن مركز دولتنا العلية فاننا لا نستطيع ان نجمل مانعلم فى مقالة واحدة أومقالات متعددة وكيف يحتمل النيل شروحا لانفى لها البحار مدادا ولكن نعد حضرات قرائنا الكرام بشرح جامع لسياسة الدولة العلية يستمر اعدادا متوالية فى فرصة مناسبة ان شاء الله تعالى حتى تشخص ماهية مجموعتنا العثمانية العظمى

وانما نوجز اليوم الكلام عما يناسب المقام بحسب العوامل الاستقبالية بالنسبة لنظام منظرة أوروبا العام فنقول

أس مبادئ دولتنا العلية سياسة الفتح والرسوخ والاصالة القومية منذ استقرت ملوكيتها فى جاهان بلخ بعد الهجرة الاولى من مواطنها الاصلية وهوذلك المبدء الذى أسس عليه قواعد السلطنة السنية سيدنا ومولانا المرحوم الغازى السلطان عثمان الاول على أثر مقررات والده الغازى اطغرل بك فقد تشكلت السلطنة على أساس الفتح أى فتح البلاد واعلان الاسلام والحكومة معا بدون التعرض للممالك الاسلامية التى كانت كثيرة الفرقة والعدد فى ذلك الزمان

وكلفت الامم بالاسلام أوالجزية فأظهرت أشد القدرة عند الحرب وأقوم أصول العدالة وحرية الاديان والالسن ورعاية الحقوق الجنسية المحكومة فرأى الناس منها مالم يروه وقررت لكل أصناف تبعتها مراسم مخصوصة جمعت فيها بين الاصولين أصول الاصالة ورعايتها وحرية الاعمال على مقتضى دستور الدولة ودعمت هذين الاساسين على سيادة الدين والشرائع الالهية

وبعد فتح أوروبا واستقرار السلطنة فى الاستانة العلية وامتداد الشوكة الى أقاصى أوروبا وآسيا بنحو سبعين سنة استولت على بلاد العرب وافريقا وامتزجت تلك الاقوام بالاقوام العثمانية أى بعد تأسيس الدولة بمائتين وثلاث وثلاثين سنة

ولم ترد تحذير الممالك الاسلامية التى يظن أنها تقوم بذاتها كأنها لم تجهز على الامم الضعيفة وكان الامر هينا لتفردها بالسلطة فى أوروبا والشرق غير انها لم تخل من الدفاع والهجوم ولا يوما واحدا

لكن لما كان أس سياستها الاصالة والمتانة والرسوخ المتعاقب لم تؤثر عليها قوة العوامل الخارجية ومابرح الوفاق الاجنبى يقوى ويتقوى وهى منفردة بالعمل لا يصحبها فيه الاقوميتها

الاصلية أو الاضافية الى ان ترقت دول أوروبا وأخذت زخرفها فى العهد الاخير

فقام دولتنا تجاه أوروبا مقام الفرد الوحيد دون المشرق بالنظر لوظيفتين سياسيتين عثمانية وشرقية و وظيفة ثالثة هى سياسة مقام الخلافة الكبرى وهى النيابة العامة عن الحضرة النبوية فى شعوب الامة

والعامل فى سياستها الخارجية الفتح الى سنة ١١٨٨ ثم الدفاع الى سنة ١٢٧٢ ثم الحيادة الى هذا الوقت

والعامل فى ادارتها الداخلية أصولها الدينية والنظامية ولذلك احترمت حق التساوى بين أجناس رعيتها ولم تجعل ثمة فروقا بين الاجناس المحكومة والجنس الحاكم ولم تعتبر التمييز بين التبعة الاصلية والاستعمارية ولم تحجر على الامم عاداتها وألسنتها ومزاياها القومية والمذهبية والدينية كما هى القاعدة فى أغلب الممالك المتمدنة

وهى كثيرة الاجناس والالسن والمذاهب والقوميات فى آسيا وأوروبا وافريقا ولكن يجمع الكل جامع سياسى ثم دينى أخص منه وقومى أصلى واضافى أى الشعوب التى تركت لقدم العهد وعوامل زمان الفتح الاول كأهالى الاناطولى وأكثر أهالى الروملى فانه لم يبق على جنسيته منهم الا من بقى على دينه

مثل الروم والبلغار واللاتين والمكدونيين وغيرهم من الاجناس ومنهم من قبل الدين الاسلامى وحافظ على حقوق القومية الاصلية كالالبانيين فانهم بقوا على مميزاتهم وكذلك الجراكسة ولم يغيروها وان انضموا الى العثمانيين انضمام امتزاج صحيح يعتمد عليه فى مهام الامور وجسامها

ولما كانت السياسة سياسة دينية عادلة اطمأنت اليها الشعوب الاسلامية وامنت فيها الاقوام العيسوية والموسوية وغيرها فالكل تحت الراية العثمانية سواء

وحدودها فى القارات الثلاثة متسعة جدا أما فى أوروبا فكانت تحادها ممالك النمسا وروسيا وايتاليا وفى آسيا تتاخم ايران وفى افريقا تجاور الغرب الاقصى وبمقتضى الظروف تغيرت خريطة المملكة عدة تغييرات مهمة ضاقت فى بعضها واتسعت فى البعض الآخر ومابرحت كذلك والامر سجال بيننا وبين أوروبا الى عهد عهدة برلين

وبانفصال بعض ايالاتنا الممتازة كالصرب والجبل الاسود ورومانيا وامتياز بلغاريا والروملى الشرقى واحتلال الروس بعض المدائن واحتلال النمسا هرسك وبوسنه واحتلال اليونان يكيشهر وترخاله واحتلال انكلترا قبرص وتقسيم أقسام من بلادنا على الحكومات الصغرى تعدلت الحدود الاخيرة

غير ان ضبط فرنسا تونس وضبط ايتاليا مصوع

وضبط بلغاريا الروملي الشرقي أثر تعديلا جديدا على عهد عهدة برلين

وبذلك التعديل المتقدم قامت هذه الممالك الصغرى حاجزا عهديا بيننا وبين النمسا والروس في أوروبا وبقي التجار بيننا وبين الروس في آسيا وفرنسا في حدود تونس وانكلترا في عدن وايتاليا في مصوع ومواجهة ألمانيا

وقد علم مما أفضنا الكلام فيه مرارا ان دولتنا العلية ملزمة برعاية حدودها برا بالقوة البرية وبحرا بالقوة البحرية في البحار الثلاثة الابيض والاسود والاحمر فاكبر حاجاتنا الى القوة البحرية والبرية وان كنا الى البرية أحوج

كما ان مقامنا تجاه أوروبا لا يقبل غير سياسة الحيادة مع جميع الدول لا الى مالا نهاية فان ذلك غير ممكن ولكن لابد من وفاق مع من يهمنا الاتفاق معه من دول أوروبا بحسب المصلحة

ولقد زعم العالم بعد حرب روسيا ان دولتنا العلية قد شاخ شبابها وساخت دعائمها وان لانهوض لها من هذه الوحدة العظمى وجعلت ظنون الاحباء والاعداء يكافئ بعضها بعضا وعما عسى ان يكون من نتايج اعمالنا واستيأس المحبون واستبسع المبغضون

وفي الحقيقة اننا كنا جسدا مثقلا بالجراح يكاد أن لا يقع السهم منا على غير سهم على حد قول القائل

فصرت اذا أصابتني نبال
تكسرت الفصال على النصال

نعم نعم لا ننسى أنين الارض من تحتنا لما غصت معدتها الطافحة بالدم ولا ننسى هو عما كانت ترجيه السماء فوقنا من غيوم الغموم ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج العثماني يد تجلده لم يكد يرها بعين الامل الان القلوب حية ولو بلغت الحناجر والنفوس أبية ولو دوختها الاهوال

والحرب قد أخذت منا ما أخذها من المال والجاه والرجال والاراضي بل الاقطار والممالك لكن كل ذلك غيرته وهلة وبدلته دفعة حكمة بالغة وثبات مدهش وعزم يخضع بين يديه الحديد ذو البأس الشديد هكذا يجن معشر العثمانيين

اذا لم تكن فوق الدروع قلوبنا
فما الدرع الاسجن من هو حامله

نعم ان الحكمة التي انتهجها جلالة سيدنا ومولانا أمير المؤمنين وشدة الحزامة والتبصرة التي ألهمها جلالته قد بدلت تلك الصعوبات ومحت آية ليل هاتيك المدهشات وجعلت آية نهار الفوز والتمكين مبصرة فلم تمض برهة من سنين الا وعادت عزة العثمانيين حية قادرة على عمل ما تريد فتبارك الله رب العالمين

استعادت الدولة قوتها وزادت أسباب رقيها المدني والعسكري البري والبحري واستردت مكانها

الاقدس من السياسة العمومية على غاية الصبر والسكينة والبعد عن مخاطر التحالف والتخالف ولم تحتج فى كل ذلك الى عقد الاستقراضات الخارجية أو تحميل الامة أنواع المشاق فى الداخلية وصرنا معشر العثمانيين ندعى الى تعديل التوازن العام الدولى من قبل الاتحادين المثنى والمثلث ونحن بعروة الحيادة متمسكون حتى نعرف الوجهة التى نضمن معها منافعنا وحينئذ نحكم الارادة ونرجح وجهة الاختيار

والذى قلناه مرارا أن دولتنا العلية أقرب الى الاتحاد المثلث منها الى المثنى لان ضائعاتنا عند الاول تكاد أن لاتذكر اذ ليس لنا من حزازات سوى مصوع لدى ايتاليا و بوسنه عند النمسا واستردادهما منهما لا يعز علينا ولا يصعب عليهما بخلاف طلباتنا عند الوفاق المثنى فاننا نطالب فرنسا بايالتينا تونس والجزائر وقد جعلتهما ملكا وحماية فيصعب عليها منهما الخروج وكيف نتفق معها قبل ذلك وهو ما لا يكون

ونطالب روسيا بمطاليب طويل شرحها عظيم دفترها مشكل حسابها لا معنى لاجماله ولا امكان لتفصيله فالتقاضى عسير والتغاضى غير يسير على ان سياستنا الشرقية لا يزاحمنا فيها غير روسيا ولا نزاحمها فى تلك المواقع غيرنا فالتزاحم والحالة هذه متقابل بين الطرفين

وحينئذ فالحدود عند ترك الحيادة اما مأمونة مما يلى روسيا وما والاها من الحكومات الصغرى مخوفة مهددة من جهة معارضيها واما على العكس أمينة مما يلى الوحدة الثلاثية وما والاها مخوفة من حدود الروس

ولما كانت حدودنا برية وبحرية وكانت شواطئنا طويلة المسافات فنحن نحتاج فى حمايتها الى قوة بحرية عظيمة لا تفى بها بحريتنا الموجودة سيما اذا كانت فرانسا حليفة روسيا وان كانت لا تقصر اذا فرضنا جهة عكس القضية أما البرية فهى على كل حال مضمونة النجاح على أى الاحتمالين لان الحرب فى ذلك الوقت لا تقاس على الحرب الاولى مع الروس فاننا كنا منفردين وكانت الروس فى جموع محالفين وكانت ممالكنا الداخلية محاربة وهى اليوم على غير ما كانت عليه

نعم يمكن ان يتهدد ممالكنا العراقية الحدود الايرانية ولكن ذلك يتوقف على كون الدولة الايرانية متفقة مع الروس وهو الامر الذى يبعد ان يكون خصوصا بعد طول التجارب

واذا فرضنا خروجنا عن خير الحيادة فيستحيل بقاء دولة انكلتره على خطة الحيادة أيضا لما لها من المنافع المشتركة وخصوصا فى آسيا وبالاخص على حدود الافغان ثم الهند ويهمها أيضا المحافظة على التخوم الايرانية

وهى اذا تجاوزت خطة الحيادة الى الاتحاد مع الوفاق المثلث أقرب منها الى المثنى لاستحالة الاتحاد

مع روسيا أحد ركنيه ضد المثلث المذكور

فيظهر من هذا وذلك ان دولتنا العلية والدولة الانكليزية تجتمعان فى نقطتين الاولى الحيادة كما هما عليه الآن والثانية الاتفاق مع المثلث ضد المثنى اذا اقتضت الحال ترك الحيادة واذن يكون الاتحاد الثنائى معرضا امام اتحاد خماسى

واذا احتمل تغيير صور الاتحادات بخروج ايتاليا الى المثنى أو عودة الوفاق الالمان الروسى فان فرنسا تنحاز الى انكلتره ولا يبعد أن يتثلث الاتحادان باتحاد الدولة العلية وانكلتره على حيادة تلقاء الدول الاخرى أو يمكن الوفاق بين الدولة العلية والدولة الايرانية على قاعدة من قواعد التحالف

وعلى كل حال فمستقبلنا مستقبل أمين وفوائدنا فى الاستفادة من نعمة السلام والحيادة حتى يحين حين الاتفاق ويومئذ يتضح صبح الحق المبين لعين اليقين

وقبل ان أختم المقال أقول ان الدولة العلية لا تؤلها المسالمة ودوامها لانها لا تحتمل من المشاق ما يحتمله غيرها من الدول بل هى تغتنم ذلك لتزييد قواها بكل اطمئنان وترق ولا تكلفها الحروب ما تكلف غيرها ما هو بديهى من قناعة جندها واخلاص رعاياها وانما الحاجة متوفرة لتعميم الطرق الحديدية التى هى باذلة الجهد فى اتمامها والقوة البحرية وقد زادت عدد وقوة أكثر مما كانت عليه أكثرية يليق ان تذكر وتشكر وان الآمال فى حسن الاستقبال ينشر بالعز والاقبال

والى هنا نمسك عنان اليراع مكتفين بهذا الالماع وسنتكلم فى يوم غد عن أحوال العوامل فى الممالك الاخرى من الدرجة الثانية والثالثة الخ والله الموفق المعين

نظرة ١٤٣

عوامل المستقبل فى اوروبا

الدول الثوانى والثوالث وغيرها

مضى الكلام على الدول السبعة ذوات الاتحادين والحيادتين وهى عوامل العالم المتمدنة فى الدرجة الاولى وعواصم السياسة العامة وبحثنا اليوم عن الدول الاخرى التى هى من الاجزاء المتممة لشكل المجموعة الدولية

وأهم ما يلزمنا الكلام عليه اسبانيا وهى مجانسة فرنسا ومحادتها لاتينية العنوان كاثوليكية المذهب والسيادة السياسية فيها للدين ومجموعتها العامة ذات شعوب ما بين معتدلة ملوكية و بين متطرفة الى حد الجهرة فى الحرية

وغايتها الاستعمارية فى أفريقا ومطامعها الكبرى تنحصر فى الغرب الاقصى وغاية ما يتهددها اضطراب التوازن المالى وصعوبة الاقتصادات فى المصاريف الداخلية والامتيازات المتفاوتة ولم يتئن لها الدخول فى احدى الاتفاقيات لعدم الثقة

باستطاعتها من جهة وعدم حاجتها من جهة أخرى وهى الى الاتفاق مع فرنسا أقرب وبالاخص لدى ساسة القائلين بالوفاق اللاتينى

ودولة البورتغال وهى كذلك لايهمها الاحفظ مركزها السياسى والتجارى والحيادة التامة مع جميع الدول وخصوصا فرنسا واسبانيا وان كانت تتطاول الى شئ من الاستعمار وقد أثقلت كاهلها الديون بحيث صار من الصعب عليها ان تقوم باعبائها الابعد ثبات على الاقتصاد الطويل

ودولة بلجيكا وهى من أمدن الدول وأهمها مركزا بين فرنسا والمانيا وموقفها حرج جدا بين التنازع السياسى الا انها تعتصم بالحيادة على اضطراب عظيم من النتيجة وفى ريب من امكان دوامها اذلامانع من وقوعها بين الاخطار اذا شنت الحرب فان العهود الكافلة انما ينفذها السلام ولهذا لانرى بدا من تحصين حدودها واستكمال ماتستطيع من القوى ولها اهتمام عظيم بالاتجار والاستعمار وخصوصا فى مستعمرة الكونغو التى أصبحت محوطة باطماع الدول العظمى

وسويسره مطمئنة الخاطر مادام السلام معتصما بعروة الحيادة المطلقة حتى عن المزاحمة فى سياسة الاستعمار وبمقتضى قلة المسؤلية تفرغت الى رغد العيش ولكنها غير قارة البال من حوادث الاستقبال

وأسوج ونوروج وان كانت قليلة المطامع فى غيرها الاان داخليتها لم تخل من عوامل الانقسام وشيوع التطرق فى الحرية وخشية التغلب عليها من قبل الدول العظمى لاسيما الروس الا انها تحتمى بالحيادة أيضا الى ان ترى وجهة للعمل

وهولانده وهى واقعة تحت أطماع مجتمعة المانيا فى أوروبا ولها ولع بسياسة الاستعمار وتوسع عظيم فى أجه وجاوه واحتكام على أولئك الاقوام ولكنها مهددة أولا بتذمر الاهالى وشدة النفور الوطنى وثانيا بتجاور المستعمرات الانكليزية وثالثا ببعد المسافة ورابعا بتبدل الاحوال اذا حصل فيها شئ ينافى حرية أعمالها بانضمامها الى الحكومات الالمانية

ولكل من هذه الدول أهمية فى حد ذاتها وان كانت تختلف درجاتها باختلاف الظروف والمناسبات ولاأقل من تقويها النظام الاجتماعى الاوروبى الا انها بعيدة عن ايقاع التأثير فى السياسة العمومية

أما الدول الصغرى التى يهمنا الوقوف على حالها واستقبالها فهى رومانيا وصربيا و بلغاريا والجبل الاسود واليونان وهى الدول والحكومات التى انفصلت من ضمن ممالك العثمانية فان موقعها وارتباطاتها وعلائقها لها الفعل المتين بالسياسة العمومية

أما رومانيا وهى المملكتين الافلاق والبغدان فهى حديثة العهد قريبة زمن المهد أول ملوكها

ملكها الحالى عظمة الملك شارل وهو شارل بك الذى عين من قبل الباب العالى واليا واستلم التاج من يد التساعد الاوروبى فهى مملكة لم تبلغ بامعتها الاشد ولم تمتزج قوميتها تمام الامتزاج وان كانت ذات ميسرة وسكينة واشتغال باحوالها الخصوصية

لذلك رغد عيشها وتخلصت من غوائل الاعسار ولكنها لا تخلو من تعارض العناصر الداخلية وخصوصا ما بقى لديها من التبعة الاسلامية وميلهم الدائم الى الانضمام للدولة العلية وتتنازعها سياستان داخليتان محافظة وحرة ومنها متطرفة وان لم تكن ذات شأن وسياستان خارجيتان روسية والمانية والسائد عليها سياسة الحيادة وميلها الى السلام مع العموم ولكنها فى خشية دائمة من مجاورة الروس ومقام حيادتها محدود الى أمد حده حيادة الدولة العلية واتخاذها مع الروس أو غيرها

وأما صربيا فهى أيضا من الحكومات الحديثة وأول ملوكها البرنس ميلان أميرها الذى عينه الباب العالى وقسم له التاج الملوكى عن يد التساعد الدولى أثر عهدة برلين ثم اعتزل الحكومة بعد برهة من زمان وهذا نجله الملك الشاب الملك الكسندر لم يزل تحت العصابة

فعهدها بالملك حديث والسائد فيها سياستان الاولى روسية قياما بواجب حقوق النعمة وغسوية اعتصاما من غوائل الروس وحرصا على دوام الاستقلال الملكى ويهدد راحتها مجاورة البلغار خارجا ووجود حزب عظيم من المسلمين أهالى المدائن السبعة الذين لم تجف فيهم دماء العداوة والبغضاء ولم تخمد من قلوبهم الحمية العثمانية

وأما الجبل الاسود فأميره البرنس نيقولا أول أمرائه المستقلين والسياسة الوحيدة فى السيادة عليه سياسة روسيا وان لم يخل من وجود حزب ضعيف يقابل ذلك الصوت العام ويهدد سلامته أولا جدب موقعه وثانيا ما قسم له من البلاد العثمانية

وأما بلغاريا فهى الامارة المستحدثة من خزائن الصدف مهداة الى عالم السياسة بأكف التساعد الدولى من اقليم اللاوجود تأسست بعد عهدة برلين بعد ان لم تكن شيأ مذكورا وأول أمرائها البرنس الكسندردى بتمبورغ الذى كان قائد الفتنة يوم الهجوم على مدينة فلبه عاصمة الروملى الشرقى واعلان انضمام الروملى الشرقى الى امارة بلغاريا وهذا أميرها الحالى البرنس فرديناند هو الامير الذى استولى عليها بدون صفة مشروعة على التحقيق ثم هو الآن على حالته الاولى فى نظر روسيا وحدها

وأس أعمالها المشروعية والحرية الدستورية وانما يتنازعها حزبان روسى يعترف بفضل الروس

ووجوب ترجيح نفوذهـم وآخر يدافع عن ذلك وبعـد سلامة بلغاريا فى الثقة بالاتحاد الثلاثى ضد روسيا وبينهما التضاد من حيث المصلحة بالغ حد النهاية

وسياستها سلمية مع أوروبا مضطربة امام روسيا مختلفة مع الدولة العلية لانها تقاوم اعادة الروملى الشرقى الى حالتها الاولى وفيها حزب كبـير يطمع فى التعرض الى مكدونيا على انهـا عنـد الاقتضاء تظهر اللياذ للدولة العلية ويتهدد مستقبلها سطوة الروس وعهدة برلين وعداوة الصرب واليونان على انها فى مأمن من تعضيد سائر دول أوروبا

على ان المهـدد الداخلى العظـيم لهـا جماهير المسلمين الباقيين فى حوزتهـا على جـدّة العهـد بالحكومية وشدّة النفرة بين الفريقين

وأما اليونان وهى أقدم هذه الحكومات عهدا بالسـيادة وأشدهن طمعا فى مناواة الدولة العلية وأكثرهن عملا فى أكثر الممالك العثمانية بدعوى الوحدة الجنسـية بينها وبين سائر الاقوام اليونانية اللغة فى بلاد كريد والاناطولى والروملى وخصوصا بلاد مكدونيـا وابيروس وبعض بلاد البانيا

وقد حملتها هـذه المطامع أحمالا ثقيـلة لما اضطرت اليه من المصاريف الباهظـة فى سبيل جلب القـلوب وتحريك النفوس مما نعلمـه ولا يلزمنا اليوم أن نبحث عنه

والعامل الوحيد فيها سياسة الارتقاء ولا أمل لهـا الا فى بلاد الدولة العلية ومابرحت كذلك حتى ضـعفت وارداتهـا فعجزت عن تسوية ميزانيتها فاضطرت الى الرجوع عن التجهيزات الحربيه

ويهددها أحوال ثلاث الاولى كونهـا محاطة من كل جهة بممالك الدولة العلية الثانى ترتب معائشها فى الاغلب على قبول معاملة رعايا فى البلاد العثمانية بحيث لومنعت الدولة أهاليها من العيش فى أرضها أوهجم عليها فى وقت تكون أوروبا فى شغل لذاتها عنها لم تطق مدافعة الابرهة من زمان قليل الثالث بقاء مسلمى يكيشهر وترخاله على ماتم من التضاد الواقع بين اليونان وبين أولئـك المسلمـين الذين بالطبع لايغفلون عن أية فرصة تبدو فتغتنم

والحاصل ان لهذه الحكومات شأنا مهـما فى حالتى السلام والحرب وضمانة رقيها المدنى فى السلام أسلم ونتايج أحوال مستقبلها بغـيره لا يعلم والله بعواقب الامور أعلم ٠

تحريرا فى مصر فى يوم الثلاثاء ٢٣ جمادى الاولى سنة ١٣١٠

حسن حسنى
الطويرانى

